«رحلة بين قبائل السلبيات ...»

جريدة الديار في ١٤ آب ٢٠١١

صدر حديثا ضمن سلسلة علوم الايزوتيريك (علوم الباطن الانساني) الكتاب الثالث والاربعون بعنوان «رحلة بين قبائل السلبيات»... بقلم د. جوزف مجدلاني (ج.ب.م) يضم الكتاب ٩٦ صفحة من الحجم الوسط، منشورات اصدقاء المعرفة البيضاء بيروت.

تساءل كثيرون، «ما اعمق هذا الكيان الانساني وما اعظمه وجودا وارقاه خلقا... لكن كم نحن بعيدون عن حقيقته»! اذ ان ما نعرفه من هذا الكيان العظيم لا يتعدى عشرة في المئة من حقيقته الكاملة على ابعد تقدير (النسبة القصوى المتفتحة من خلايا الدماغ لدى العوام حاليا) اي ما يوازي طاقة المدارك على الاستيعاب في الزمن الراهن، وما يتوافق مع حرارة الشمس على الارض!

لعل اهم ما في هذا الكتاب الشيق، الكاشف والفريد من نوعه انه يتناول موضوعا لا يبدو احدا ان تطرق اليه من قبل... وهو عيوب النفس البشرية، او السلبيات الغائبة عن مدارك صاحبها!..

يلقي «رحلة بين قبائل السلبيات»... الضوء على ما يجلهه المرء وهو هاجع في صميم نفسه، يتصرف عبره لا شعوريا منه، وربما يساوره الندم، او لا يتنبه الى نتيجة تصرفه.. وهنا يكمن الخطر، وتشتد المعاناة، ويتوالد العذاب في حياة المرء... كل ذلك من دون ان يدري السبب. وهذا ما يجعل المفكر يتساءل: هل العذاب (اذا ما اضطر الامر) عملية بديهية او ضرورية لصقل الجوهر الانساني كي يظهر اشد لمعانا وبريقا؟!

«رحلة بين قبائل السلبيات...» الكامنة في النفس البشرية دونما دراية صاحبها، كيف يكتشفها ؟ كيف يتحقق منها؟ وكيف يعمل على ازالتها واستبدالها بالايجابيات؟

يسرد الكتاب قصة واقعية ذات وجهين: الاول حياتي عملي، والثاني وجداني، وجهين مختلفين عن بعضهما ومتباعدين... كل يعمل على هواه، دونما علم او اهتمام بالاخر، متجاهلين ان الغاية تقريبهما الى بعضهما، والهدف الغاء التناقض بينهما... اذا ما شاء المرء ان تستقيم حياته وتبتعد عنه المنغصات الحياتية...

يستعرض الكتاب بادق التفاصيل مواجهة صريحة بين النفس والذات، يشرحها في صور حياتية ومواقف عملية لا يملك القارئ الا ان يشبهها على نفسه، يقتدي بها ويعيش بموجبها، فيرتقي في حياته، في اعماله ومشاغله الخالصة والعامة، ما يوسع نظرته في الابعاد، ويضفي على مداركه سعة افق التفكير.. ويثبت ان الا «الايزوتيريك» اسلوب حياة راق وبديع.

هدف الايزوتيريك ان يكشف تباعا المعارف الخافية في حياة الانسان، وكم هي كثيرة لا يحويها حصر ولا عد... انما هي دائما مظللة بالوعي الحياتي العملي.

وحيث ان وعي الظاهر يعصى عليه ادراك مكنون وعي الباطن في الحالات الاعتيادية، نستمع الى المعلم وهو يشرح باسلوب انسيابي سلس، قوامه قاعدة ذات ركائز اربع، معروفة اسما لكنها مجهولة تقنيا، ودورها متداخل في بعضه، يشرحها الكتاب بتبسيط السهل الممتنع الذي يستوحي من الفنون تعبير التصوير وجمال الشاعرية، وهي: التأمل، التركيز، التمعن، والتطبيق (اي ممارسة النتائج).

يشرح المعلم هذه التقنية:

«تعلم فن التأمل من عاشق متيم ينتظر معشوقته في لقاء ابدي، وفي خلفية خياله صورتها التي تهيمن على وجوده دونما تركيز منه او جهد. لان توقه اليها يتخطى حدود التفكير والتركيز والوعي الحسي.

وتعلم فن التركيز من حرفي ماهر، يحاول ان يبتدع من بضعة اشياء بين يديه ادق تحفة واجمل عمل. لان الصورة – الهدف المحفورعميقا في ذهنه، هو الذي يشحذ تركيزه ويجعله اكثر حدة.

وتعلم فن التمعن من موسيقي بارع يستلهم نغمات سيمفونيته من اصوات الكواكب والنجوم، ثم يتمعن فيها باحثا عن ابعادها، عن معانيها، عما اخفي بين نغمة واخرى وبين نجمة واخرى.

وتعلم فن التطبيق العملي من نملة تحمل قشة على ظهرها وتسير بها مسافة طويلة لتبني لنفسها حجرا يأويها وصغارها طوال فصل الشتاء. فالمثابرة في عملها لهي اسمى ما يصبو اليه انسان في تطبيق ما يتعلمه. فتلكم هي قمة الوعي في المعرفة».

بذلك ينفتح المرء على باطن وعيه، لابل سيجد ان ثمة اتصالا قد مد بين ظاهر وعيه وباطنه.. مسؤوليته ان يمكن هذا الاتصال في ضوء الحكمة العملية المكتسبة. فالحكمة اكتساب، والاكتساب حقيقة تطبيق والحقيقة لا تهادن، لا تساوم ولا تتهاون.. والا فليست حقيقة.

من هنا، فاذا ما ابصر المرء سلبياته بعين الحقيقة، ضعفت تلقائيا وتقلصت امام نور الوعي. لان الجهل ظلام داخلي، والظلام هو الغذاء الوحيد للسلبيات. ومأوى كل سوء تصرف. فالسلبيات لا تعشش الا في ظلام الوعي. اعترف بوجودها تجدها ضعفت، اكشفها، تجدها تقلصت، سلط عليها نور الوعي، تجدها بدأت تجف وتذوي.

كتاب انساني بطبيعته، ارتقائي بهدفه، حياتي باسلوبه، عملاني، ارشادي وكاشف.